والثمن الجنة

عبد الملك القاسم

مصدر هذه المادة:

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الـذي وعد من أطاعه جنـات عدن تجري من تحتها الأنهـار فيها ما لا عين رأت ولا أذن ســـمعت ولا خطر على قلب بشر، والصلاة والسلام على أشرف الأنبيـاء والمرسلين، خير من صلى وصام وعبد الله حتى أتاه اليقين

وبعد:

بين يـديك -أخي القـارئ- الجـزء الثـاني من سلســلة «**أين نحن من هــؤلاء**»؟ تحت عنــوان «**والثمن الجنة**» الـــذي يتحــدث عن موضــوع مهم ألا وهو الصــلاة، الــتي فــرط فيها بعض النــاس وتهــاون بها البعض الآخر.

ونحن في زمن الضـــــعف والتكاسل والتشـــاغل أحببت ذكر همم من كــان قبلنا ومسارعته لأداء هذا الفريضة العظيمة حتى تكون محيية للقلوب محركة للنفوس مقوية

للعزائم.

جعل الله أعمالنا خالصة لوجهه الكريم

عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم

الصلاة

للصـــلاة في الإســـلام منزلة لا تعـــدلها منزلة أي عبـادة أخـرى فهي عمـاد الـدين الذي لا يقـوم إلا بـه، قـال ﷺ: «**رأس الأمر الإســـلام وعمـــوده الصـــلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**»[1].

وهي فريضة دائمة مطلقـــة، لا تســـقط حـــتى في حـــال الخـــوف، قـــال تعـــالى: ﴿ **حَـــافِظُوا عَلَى الصَّـــلَوَاتِ وَالصَّـــلَاةِ الْوُسْـطَى وَقُومُـوا لِلَّهِ قَـانِتِينَ * فَـإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَـــالًا أَوْ رُكْبَانًا فَـــإِذَا أَمِنْتُمْ فَـاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُـوا تَعْلَمُـونَ**﴾ [ســورة البقــرة، الآيتــان: 238، 239].

وهي أول ما أوجبه الله تعـــــــالى من العبـــادات، وهي أول ما يحاسب عليه العبد وهي آخر وصــية وصى بها رســول اللــه، ﷺ، أمته عند موته فقـال: «**الصلاة، الصـلاة،**

(?) [1] أخرجه الترمـــــذي وابن ماجه وأحمد وصححه الألباني.

وما ملكت أيمانكم»[1].

وهي آخر ما يفقد من الدين، فإن ضاعت ضاع الدين كله، قال ﷺ: «**لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضًا الحكم وآخرهن الصلاة**»[2].

وقد ذكرها الله تعالى من الشروط الأساسية للهداية والتقوى فقال تعالى: ﴿**الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾[البقرة: 1-3] واستثنى تبارك وتعالى المحافظين على الصلوات من أصحاب الأخلاق الذميمة فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا**

1 (?) أخرجه ابن ماجه وأحمد وصححه الألباني.
2 (?) أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه والألباني.

الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ [المعارج: 19-23]. وقال تعالى وهو يحكي عن أهل النار: **مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ**[1].

وقد توعد الله تارك الصلاة بقوله: **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** [الماعون: 4، 5]، والسهو هو تركها حتى يخرج وقتها.

وحذر جل وعلا من إضاعة الصلاة وتوعد مضيعها بالعذاب الشديد فقال تعالى: **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا** [مريم: 59]، والغي: واد في جهنم خبيث الطعم بعيد القعر جعله الله لمن أضاع الصلاة واتبع الشهوات.

ولقد اهتم المسلمون بهذه الصلوات أيما اهتمام وحافظوا عليها أشد المحافظة

1 (?) معلومات مهمة من الدين.17.

وكان قدوتهم في ذلك رسول الله كما ذكرت ذلك عائشة -رضي الله عنها-: "**كان رسول الله يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه**».

هذا هو قدوتنا نسير على طريقه ونقتفي أثره

إذا نحن أدلجنا وأنت إمامنا

كفى بالمطايا طيب ذكراك حاديًا[1]

وسار السلف الصالح من هذه الأمة على هذا المنهج النبوي الشريف، فهذا سعيد بن المسيب من شدة حرصه على الصلاة حافظ على دخول المسجد قبل الأذان لمدة تزيد عن أربعين سنة، قال برد مولى سعيد بن المسيب: ما نودي للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد[2].

وقال **ربيعة بن يزيد**: ما أذن المؤذن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة إلا وأنا في

1 (?) جامع العلوم والحكم 229.

2 (?) طبقات الحنابلة 1/141، حلية الأولياء 2/163، صفة الصفوة 2/80.

المسجد إلا أن أكون مريضًا أو مسافرًا[1] .

وأرشد ﷺ للمحافظة على هـــذا الخـــير العظيم فقـــال: «**اعلمــــوا أن خـــــير أعمـــالكم الصـــلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**»[2].

* شهد أهل الخير لأهل الخـير فقد قـال يحيى بن معين عن يحـيى بن سـعيد: إنه لم يفته الزوال في المسجد أربعين سنة[3].

أولئك قـــوم قلـــوبهم معلقة بالمســاجد وقد جـــاءتهم البشـــائر في قوله ﷺ: "ســبعة يظلهم الله في ظله يـــوم لا ظل إلا ظلـــه» وذكر منهم: «رجل قلبه معلق بالمساجد إذا خرج منه حتى يعود إليه»[4].

وقد حث ســفيان بن عيينة على الســير إلى الصلاة حـتى قبل النـداء فقـال: لا تكن مثل عبد الســوء لا يــأتي حــتى يــدعى ائت

1 (?) السير 5/240.
2 (?) أخرجه أحمد والبيهقي والحـاكم وصـححه الألباني.
3 (?) السير 9/181، تـذكرة الحفـاظ 1/229، الزهد 530.
4 (?) متفق عليه.

الصلاة قبل النداء(1).

وذلك استجابة لقوله ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات**»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط**» [رواه مسلم].

الحنين إلى الصلاة:

ضرب سلفنا الصالح أروع الأمثلة وأصدق الاستجابة حتى في حالات المرض الشديد، فعندما سمع عامر بن عبد الله، المؤذن وهو يجود بنفسه ومنزله قريب من المسجد قال: خذوا بيدي، فقيل له: إنك عليل، فقال: أسمع داعي الله فلا أجيبه، فأخذوا بيده، فدخل في صلاة المغرب فركع مع الإمام ركعة ثم مات(2).

وهذا فاروق هذه الأمة -رضي الله عنه-

---

1 (?) التبصرة 1/137

2 (?) صفة الصفوة 2/131، السير 5/220.

ينتبه بعـــــدما ذكر بالصــــلاة وهو في حالة الإغمـــاء الشـــديد، فقد ذكر المســـور بن مخرمة أن عمر بن الخطـــــاب لما طعن جعل يغمى عليه فقيـــل: إنكم لن تفزعـــوه بشـــيء مثل الصـــلاة إن كـــانت به حيـــاة، فقالوا: الصلاة يا أمير المؤمنين، قد صــليت فانتبه فقــال: الصــلاة ها اللــه، فلا حظ في الإســـلام لمن تـــرك الصـــلاة، فصـــلى وإن جرحه ليثعب دمًا[1].

رضي الله عنه وأرضـــــــاه، لقد علم الصحابة شدة اهتمامه وحرصه على الصلاة -فعلموا أنه إن ذكرت الصلاة على مســمعه وبه حيـاة- فإنه سـيفيق من الإغمـاءة الـتي كـــان فيها وقد كـــان ذلـــك، فلما ذكـــروا له الصلاة أفاق.

أما في زماننا فلا يحلو للبعض النـــوم إلا وقت الصلاة، والبعض يسمع صـوت المنبه للصــــلاة ولكن لا يســـتيقظ، وآخــــرون

1 (?) تـــاريخ عمر 243، الزهد للإمـــام أحمد 182.

يوقظون للصلاة ولا يستجيبون -وكأنهم إلى الموت أقرب منهم للحياة- ولكن لو سمعوا بأن لصًا في الدار أو صافرة الإنذار انطلقت، لرأيت سرعة الانتباه وقوة الوثبة.

لا تعرضن لذكرنا في
مشى كالمقعد[1]

أخي المسلم

سطر **الربيع بن خثيم** موقفًا عظيمًا في حياته فها هو بعدما سقط شقه يهادي بين رجلين إلى مسجد قومه، وكان أصحابه يقولون: يا أبا يزيد لقد رخص لك، لو صليت في بيتك فيقول: إنه كما تقولون، ولكني سمعته ينادي: حي على الفلاح، فمن سمعه منكم ينادي حي على الفلاح فليجبه ولو زحفًا ولو حبوًا[2].

لقد كان هناك دافع يدفعهم ويستحثهم لتحمل المشاق في سبيل إقامة الصلاة

---

1 (?) صفة الصفوة 4/266.
2 (?) حلية الأولياء 2/113.

طاعة لله عز وجل، وامتثالاً لأوامره، ورغبة فيما عنده.

فهذا **عـدي بن حـاتم** يقـول: ما جـاء وقت الصـــلاة إلا وأنا إليها بالأشـــواق، وما دخل وقت صلاة قط إلا وأنا لها مستعد[1].

لقد حـــرك الـــداعي إلى الله وإلى دار السـلام النفـوس الأبيـة، والهمم العاليـة، فأسـمع منـادي الإيمـان من كـانت له أذن واعية، وأسمع الله من كان حيًا فهزه النداء إلى منازل الأبرار وحدا به في طريق سيره فما حطت به رحاله إلا بدار القرار[2]

أحن اشتياقاً للمساجد لا قصور وفرش

وهذا الاهتمام بالصلاة تحول إلى فـرح وســـرور بـــدخول وقتها وهو فـــرح وبهجة بالعطاء العظيم من الله الكريم المنان فهو كما ذكر **أبو بكر بن عبد الله المــزني**: من مثلك يا ابن آدم؟ خلي بينك وبين المـاء

---

1 (?) الزهد للإمام أحمد 249.

2 (?) رهبان الليل 39.

والمحــراب، مــتى شـئت تطهــرت ودخلت على ربك -عز وجـــــــــل- ليس بينك وبينه ترجمان ولا حاجب[1].

فهذه ولله الحمد من نعمه علينا نقصده متى شـئنا فـترفع بالصـلاة الـدرجات وتحط الخطيئـات، فسـبحانه ما أكرمه وجل جلاله ما أعظمه.

ولا شك أنه يتأسف على فـــوات هـــذه النعم وضـياع الأوقـات بـدون فائـدة ورأس مـــال المســـلم عمـــره.. أفلا يتأسف على ضـياعه؟ قـال **أبو رجـاء العطـاردي**: ما أنفس عليَّ شيء أخلفه بعــدي إلا أني كنت أعفر وجهي في كل يوم وليلة خمس مرات لربي عز وجل[2].

أخي المسلم:

لقد أعطـــــوا الصــــلاة حقها وأنزلوها منزلتهـا، ولـذلك كـانت عنـدهم المقيـاس الأول، كما أكد ذلك **عمر بن الخطـــــاب**

1 (?) البداية والنهاية 9/256.
2 (?) حلية الأولياء 2/306.

بقولـه: إذا رأيت الرجل يضـيع من الصـلاة فهو والله لغيرها أشد تضييعًا[1].

وسـار على هـذا المنهج **أبو العالية** فقال: كنت أرحل إلى الرجل مسـيرة أيـام، فأول ما أتفقد من أمره صلاته، فـإن وجدته يقيمها ويتمها أقمت وسـمعت منـه، وإن وجدته يضيعها رجعت ولم أسمع منه وقلت: هو لغير الصلاة أضيع.

وامتدادًا لهـذا التواصل الخـير امتد هـذا الحرص ليصل إلى أطفالهم امتثـالاً لقولـه، ﷺ: «**مـروا أبنـاءكم بالصـلاة لسـبع واضـربوهم عليها لعشر وفرقـوا بينهم في المضاجع**»[2].

فكان زيد الأيامي يقول للصبيان: تعـالوا فصـلوا أهب لكم الجـوز، فكـانوا يجـيئون ويصـلون ثم يحوطـون حولـه، فقيل لـه: ما تصـنع بهـذا؟ قـال: وما علي، أشـتري لهم

---

1 (?) تاريخ عمر 204.

2 (?) أخرجه أبو داود وأحمد والحـاكم وحسـنه الألباني.

جـــــوزًا بخمسة دراهم ويتعـــــودون على الصلاة[3].

والكثـــــير الآن اهتم بتربية أبنائه تربية دنيوية بحتـــــة، فحـــــرص على المأكل والمشــرب وتوفــير وســائل الترفيه واللهو ولكنه تـــرك المهمة الأولى والمســـئولية الكـبرى للآبـاء ألا وهي تربية أبنـائهم التربية الإسلامية الصحيحة وتعويـدهم على الصـلاة وتفقـدهم حـال غيـابهم عنها والله -سـبحانه وتعالى- يقول: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُـوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾** [التحريم: 6].

الصلاة مع الجماعة:

أوجب الله -ســـبحانه وتعـــالى- أداء الصلاة المفروضة مع الجماعة فقال تعالى: **﴿وَارْكَعُوا مَعَ الـرَّاكِعِينَ﴾** [البقـرة: 43]، وداوم عليها ﷺ، وأصـــحابه مداومة شـــديدة حـتى كأنها جــزء من الصـلاة، ولم يتركها ﷺ في الســلم ولا في الحـــرب ولا في مرضه

---

3 (?) حلية الأولياء 5/31.

الذي مات فيه.

وفي مساجدنا اليوم اختفى هذا الأمر ولم يحرص الجميع على أدائها مع الجماعة، فإننا نرى حضور المصلين لصلاة الجمعة وامتلاء المساجد بهم، ثم لا نراهم في الصلوات الخمس، أيحسبون أنهم لا يحاسبون على هذا التقصير والتهاون؟ أم بأي عذر سقطت عنهم صلاة الجماعة حتى يتخلفوا عنها لا سيما وهم يسمعون ذلك النداء الذي يرتفع على المسامع خمس مرات كل يوم؟

أخي الحبيب:

لكم نحمد الله على ذلك، فكم من مسلم في بلاد الكفار يحرم من سماع هذا النداء، وكم من ميت لم يعد يجيب نداء التوحيد، وكم من مريض يحن إلى تلبية الدعوة ويحول بينه وبينها المرض، فإن لنداء التوحيد رنة في الأذن وفرحة في القلب، كيف لا، وهي دعوة من الله جل وعلا للسير في ركب الصالحين الراكعين

الساجدين.

ولهـذا كـان **أبو عمـران الجـزني** إذا سمع الأذان تغير لونه وفاضت عيناه.

وقبله كـان سـيد المرسـلين كما قـالت عائشة رضي الله عنها «**كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه فإذا حضـرت الصـلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه**» صـلوات ربي وسلامه عليه.

وكان **علي بن الحسين** -رحمه اللـه- إذا توضأ يصفر لونه فيقول له أهله: ما هـذا الذي يعتادك عند الوضـوء؟ فيقـول: تـدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟![1].

وحين استيقظ **سليمان بن الأعمش** من النـوم لحاجة فلم يصب مـاء، وضع يـده على الجـدار فـتيمم، ثم نـام، فقيل له في ذلـك، قـال: أخـاف أن أمـوت على غـير وضوء[2].

وذلك امتثـالاً لقـول الرسـول ﷺ:

---

1 (?) صفة الصفوة 2/93.

2 (?) حلية الأولياء 5/49.

«**واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**»[1].

ليس الطريق سوى طريق
فهي الصراط
من يمشي في طرقاته فقد
عنها هلك[2]

توضأ **منصـــــور بن زاذان** يومًا فلما فرغ دمعت عيناه ثم جعل يبكي حـتى ارتفع صـــوته فقيل لـــه: رحمك الله ما شـــأنك؟ فقال: وأي شيء أعظم من شأني؟ أريد أن أقوم بين يـدي من لا تأخـذه سـنة ولا نـوم، فلعله أن يعرض عني[3].

وما ذاك إلا لصـــلاح قلـــوبهم وصـــفاء ســـرائرهم، فعنـــدما قيل **ليزيد بن عبد الله**: ألا نسـقف مسـجدنا؟ قـال: أصـلحوا قلوبكم يكفكم مسجدكم[4].

---

1 (?) أخرجه أحمد والبيهقي والحـاكم وصـححه الألباني.

2 (?) ذيل تذكرة الحفاظ 175.

3 (?) صفة الصفوة 2/12.

4 (?) حلية الأولياء 2/312.

فإن من صلح قلبه وأخلص نيته لم ينظر إلى سقف ولا إلى نقش بل اهتم بصلاته وتأديتها على الوجه الأكمل رجاء قبولها.

وهذا **عدي بن حاتم** -رضي الله عنه- يقول: ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء[1].

وتلبية النداء في حياتهم تتم بصورة عملية لا تراخي فيها ولا تكاسل، فهو نداء يعني لهم التوجه إلى المسجد وترك ما في أيديهم من أعمال الدنيا.

لنر **إبراهيم بن ميمون المروزي** ومهنته الصياغة وطرق الذهب والفضة، كان إذا رفع المطرقة فسمع النداء لم يردها.

إنهم رجال تفرغوا لتلبية هذا النداء طاعة لرب العالمين وامتثالاً لأمر سيد المرسلين، تركوا الدنيا جانبًا وقاموا عن أعمالهم سراعًا متجهين إلى الله -جل

---

1 (?) السير 3/160.

وعلا-.

أخي المسلم:

صلاة المرء في أخراه ذخر
وأول ما يحاسب
فإن يمت فطوبى ثم طوبى
له الفوز فيها بالصلاة
وإلا النار مثواه وتبًا
له تبًا بعد الممات

وكـانوا من شـدة الحـرص على الصـلاة وعلى الطاعـــات نـــراهم يتســـابقون إلى المســـاجد حـــال النـــداء فهو كما قـــال الشاعر:

تراه يمشي في الناس
إلى المساجد هونًا

وحالنا اليـوم خلاف ذلـك، ونـرى البـون الشاسع و الفـارق الكبـير بين عبـاد الأمس ورجال اليوم، فهنـاك الكثـير اليـوم ممن لم يـــدخل المســـجد قبل الأذان أو معه بل إن البعض قد يموت وهو لم يدخل المسجد بل يدخل به للصلاة عليه.

وهذا الاهتمام بـأمر الصـلاة الـذي نـراه

في واقع حيـــــــاتهم من حضــــــــورهم إلى المساجد مبكـرين ومحـافظتهم على الصف الأول نـــراه اســـتجابة لقوله : «**لو يعلم النـــاس ما في النــداء والصف الأول ثم لا يجـــدوا إلى أن يســـتهموا عليه لاستهموا عليه**»[1].

وحافظ على هذا الخير الكثير من سلف الأمة فكـــان **بشر بن الحسن** يقـــال له (الصـفي) لأنه كـان يلـزم الصف الأول في مسجد البصرة خمسين سنة.

وانقلبت الأمور وتغيرت المفـاهيم ونـدر من يحافظ على هـــذا الـــواجب العظيم والخير العميم.

أما عن الحــرص على حضـور التكبـيرة الأولى مع الإمام التي لا يـدركها الكثـير من الناس اليوم فحدث ولا حرج.

قـال **سعيد بن المسـيب**: ما فـاتتني التكبـــيرة الأولى منذ خمســين ســنة وما نظـــــرت في قفا رجل في الصـــــلاة منذ

---

[1] (?) متفق عليه.

خمسين سنة[1].

﴿وَفِي ذَلِـــــــــكَ فَلْيَتَنَـــــــــافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

هو مطلب يستحق المنافسـة، وهو أفق يستحق السباق، وهو غاية تستحق الغلاب.

والذين يتنافسون على شيء من أشـياء الأرض مهما كـــبر وجل وارتفع وعظم، إنما يتنافسون في حقير قليل فانٍ قـريب الـدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضـة، ولكن الآخـرة ثقيلة في ميزانه فهي إذن حقيقة تســـتحق المنافسة فيها والمسابقة[2].

بقى **سليمان بن مهران** سبعين سنة لم تفته التكبـــــــــيرة الأولى[3] رحمنا الله برحمتـــه، فـــالبعض قد لا يـــدرك التكبـــيرة الأولى في السنة كاملة إلا مرة أو مــرتين.. وانظر إلى الصـفوف بعد انتهـاء الإمـام من الصلاة تـرى أن من أدرك الصـلاة كاملة هم

---

1 (?) وفيــات الأعيــان 2/375. وحلية الأوليــاء 2/163.

2 (?) في ظلال القرآن 2/3860.

3 (?) تذكرة الحفاظ 1/154.

القلة القليلة.

أين نحن من هؤلاء؟

هــذا **أسيد بن جعفر** يقــول: ما رأيت عمي بشر بن منصور فاتته التكبيرة الأولى، ولا رأيته قــام في مســجدنا ســائل قط إلا أعطاه[1].

وقال **وكيع بن الجراح**: كان الأعمش قريبًا من ســبعين ســنة لم تفته التكبــيرة الأولى[2].

بل إن بعضــــــهم -رحمه الله - لم تفته التكبيرة الأولى مع الإمـام إلا في يـوم واحد منذ أربعين سنة ولعذر.

فقد قــال **ابن ســماعة**: مكثت أربعين سنة لم تفتني التكبيرة الأولى إلا يوم ماتت أمي[3].

وإذا كان هـذا ما عرفنـاه من اهتمـامهم بالصــلاة وبتكبــيرة الإحــرام خصوصًــا، فلا غرابة إذا قال **إبـراهيم النخعي**: إذا رأيت

---

1 (?) صفة الصفوة 3/376.

2 (?) تذكرة الحفاظ 1/154. والســير 6/228. وصفة الصفوة 3/117.

3 (?) السير 10/646

الرجل يتهـــاون بـــالتكبيرة الأولى فاغسل يديك منه[1].

وهــذا **إبــراهيم الــتيمي** يؤكد هــذا الاهتمام وأنه عنوان صاحبه بقوله: إذا رأيت الرجل يتهـاون في التكبـيرة الأولى فاغسل يديك منه[2].

وقد أدرك الســلف -رحمهم اللــه- ذلك فاهتموا بالتبكير إلى الصلاة فقال **سـفيان بن عيينة**: إن من توقـير الصـلاة أن تـأتي قبل الإقامة[3].

* هذا هو شـدة حرصـهم واهتمـامهم ما بالك إذا فـــاتتهم الصـــلاة في الجماعة مع شدة عنايتهم بها واستعدادهم لها.

قال قاضي الشام **سليمان بن حمزة المقدسي**: لم أصل الفريضة منفـــردًا إلا مرتين وكأني لم أصلهما قط، مع أنه قـارب التسعين[4].

1 (?) السير 5/65 وصفة الصفوة 3/88.
2 (?) السير 5/62.
3 (?) صفة الصفوة 2/235.
4 (?) حدثني أحد المشايخ الفضلاء: إنه لم تفته

وكـانوا يتـألمون لفـوات هـذا الخـير العظيم والأجر الجزيل.

قـال **محمد بن المبـارك الصـوري**: كان **سعيد بن عبد العزيز** إذا فاتته صلاة الجماعة بكى[1].

ولم تكن صـلاة الجماعة تعـدل عنـدهم شـيئًا من أمـور الـدنيا الـتي أصـبحنا نلهث وراءها وربما نـؤخر الصـلاة من أجلهـا، فقد أتى ميمـون بن مهـران المسـجد فقيل لـه: إن النـاس قد انصـرفوا فقـال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لفضل هـذه الصـلاة أحب إلي من ولاية العراق[2].

والبعض منا يفـوت صـلاة الجماعة لأمر بسيط وشغل قليل من أمور الدنيا لا يعـدل شيئًا يذكر، فما بالك بولاية العراق؟!

وقوم أمـرهم كـذلك لابد أن هنـاك نوعًا

صـلاة الجماعة إلا مـرة واحـدة عنـدما كـان عمـره تسع سـنوات وأضـاف كـأني لم أصـلها مطلقًا.

1 (?) تذكرة الحفاظ 1/219.

2 (?) مكاشفة القلوب 364.

من التأثر على فوات الجماعة فهذا ابن عمر إذا فاتته العشـــاء في جماعة أحيا بقية ليلته.

اغتنم في الفراغ فضل
فعسى أن يكون
كم صحيح رأيت من غير
ذهبت نفسه الصحيحة

أخي الحبيب:

صــلاة الجماعة عند هــؤلاء الأخيــار لها منزلة عظيمة وفقــدها كفقد عزيز لــديهم، لعظم أمرها ولمعـــرفتهم بحقيقتها وهو كما جــرى **لحاتم الأصم** عنــدما قــال: فــاتتني الصــلاة في الجماعة فعــزاني أبو إســحاق البخــاري وحــده، ولو مــات لي ولد لعــزاني أكـثر من عشــرة آلاف، لأن مصـيبة الــدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا[1].

وهـذا من درر الكلام ونفيسه: فما أكـــثر ما نـــرى من المعـــزين بفقد عزيز وذهاب قريب، ولكننا لا نـرى من يعـزي في فقد جــانب من جــوانب الــدين، فــاللهم لا

---

1 (?) مكاشفة القلوب 364.

تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا.

قال **يونس بن عبد الله**: ما لي تضيع لي الدجاجة فأجد لها وتفوتــني الصــلاة فلا أجد لها[1].

كم لــدينا ممن يغتمــون بهمــوم العمل وزيادة المراتب ومتى يحين موعد الترقيــة، ويسهرون الليالي وربما تطـاول بهم الهم لا ينامون إلا قليلاً وفي النهار يتعبون ويجرون هنا وهنـاك بهمة ونشـاط ويحسـبون حسـابًا لكل شاردة وواردة من أمر الدنيا، وتفـوتهم الصــــلاة مع الجماعة وهو لا يـــــألمون ولا يتألمون، وقد يتعذر البعض بكثرة المشـاغل ومتطلبات الحياة وأمور الدنيا.

أخي الحبيب:

وأنت تهب من فراشك مسـرعًا، تـركت لذة النوم ولين الفـراش، تـردد مع المـؤذن ما يقول ثم تسير إلى صلاة الفجر بخطوات مطمئنة.. في برد قارس وظلام دامس.

[1] (?) حلية الأولـيـاء 3/19، وصـــفة الصـــفوة 3/307.

لا حرمك الله الأجــر، وكتب خطواتـك..
ألا فأبشر بخـير عظيم بشـرك به نـبي هـذه الأمة بقولـه: «**بشـروا المشـائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**» [رواه أبو داود والترمذي].
لا يغلبنك الشــــيطان ولا تـــــتردد في القيــام.. سر إلى جنة عرضــها الســموات والأرض أعـــــدت للمتقين، فيها ما لا عين رأت ولا أذن ســــمعت ولا خطر على قلب بشر..
بلغك الله ما قصـــــــدت وجعل الجنة مثواك..

أخي المسلم:

لنرى كيف كان اهتمام السـلف الصـالح بالطاعــات والعبــادات رغم الأعبــاء الــتي يحملونهـا، فهـذا القاضي أبو يوسف يصـلي بعــدما ولي القضــاء في كل يـــوم مــائتي ركعة[1].
بل إن خليفة المسلمين هارون الرشـيد

[1] (?) تذكرة الحفاظ 1/293.

بعد أن تـولى الخلافة يصـلي في كل يـوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا إلا أن يعـرض له علة[1].

وكـان للمسـجد عنـدهم اهتمـام خـاص لكونه مكانًا للعبـادة فعنـدما رأى عطـاء بن يسار رجلاً يبيع في المسجد دعاه فقال له: هذه سوق الآخرة فـإن أردت الـدنيا فـأخرج إلى سوق الدنيا.

ونتمثل بقـول الشـاعر حين نـرى التهاون والتكاسل:

أيا عجبًا كيف يعصى الإلـه
أم كيف يجحده جاحد؟
ولله في كل تحريكة
وفي كل تسكينة
وفي كل شيء له آية
تدل على أنه واحد[2]

---

1 (?) تاريخ بغداد 14/6.
2 (?) تاريخ بغداد 6/253.

الوقوف بين يدي الله

كان من تمـام محـافظتهم على الصـلاة القيام بأركانها وواجباتها وسننها ومستحباتها على الوجه الأكمل.

بخشوع وخضوع لله -عز وجل- وحضور قلب وتدبر وقد مدحهم الله بقولـه: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَـــــلَاتِهِمْ خَاشِـــــعُونَ﴾ [المؤمنون: 2].

وقـــال ﷺ: «إن الرجل لينصـــرف ما كتب له إلا عشر صـــلاته، تســـعها، ثمنهـــا، سدســـها، خمســـها، ربعهـــا، ثلثها، نصفها»[1].

وقد قـــال عمر بن الخطـــاب رضي الله عنه على المنبر: إن الرجل ليشيب عارضاه في الإســـلام وما أكمل لله تعـــالى صـــلاة، قيـــل: وكيف ذلـــك؟ قـــال: لا يتم خشـــوعها وتواضـــعها وإقباله على الله -عز وجـــل- فيها[2].

هـذا قـول عمر بن الخطـاب في صـدر

---

1 (?) أخرجه أبو داود وأحمد وحسنه الألباني.

2 (?) الإحياء 10/202.

الإسلام، ماذا عن واقعنا نحن اليوم، والكثير -إلا من رحم ربي- تـذهب به أحـوال الـدنيا كل مـذهب، فهو يصـلي ببدنه ولكنه يـذهب بفكره إلى الدنيا وأسـواقها، يـبيع ويشـتري، ويزيد وينقص.. وما ذاك إلا من الغفلة.

قـال الحسـن: سـمعهم عـامر بن عبد قيس وما يـــذكرون من ذكر الضـــيعة في الصلاة قال: تجدونه قالوا: نعم، قـال: والله لئن تختلف الأسنة في جـوفي أحب إلي أن يكون هذا في صلاتي[1].

وهـذا -واللـه- واقع من عـرف الله حق معرفته وأدى الصـلاة كما يجب ولهـذا قـال حمـاد بن سـلمة: ما قمت إلى صـلاة إلا مثلت لي جهنم[2].

كيف يا أخي الحـبيب تـرى صـلاة من يخشى الوقـوع في نـار جهنم؟ إنها صـلاة خوف من عذاب الله ورجاء لما عنده، وهي صلاة مودع لما في الدنيا، راج بعمله الـدار

---

1 (?) الزهد للإمام أحمد 321.

2 (?) تذكرة الحفاظ 1/219، وشذرات الذهب 1/263.

الآخرة وما فيها، عليك بوصية معـاذ بن جبل لابنه: يا بني إذا صليت صل صـلاة مـودع، لا تظن أنك تعـود إليها أبـدًا، واعلم يا بـني أن المؤمن يمـوت بين حسـنتين حسـنة قـدمها وحسنة أخرها[1].

فلو وقف كل منا في صـــلاته هـــذا الموقف واستشعر هذا الأمر لأتمها كما يجب طاعة لله -عز وجل-.

يا من له تعنو الوجوه
ولأمره كل الخلائق
أعنو إليك بجبهة لم أحنها
أتضرع[2]

وهذه وصية بكر المزني تنادي بـالحرص على الصـلاة وإتمامها على وجهها الصـحيح إذ قال: إذا أردت أن تنفعك صلاتك، فقل: لا أصلي غيرها[3].

لو ســرنا على هــذا الأمر لتبــدل حالنا ولصلح أمرنا ولاستقامت صلاتنا فإن الصلاة

---

1 (?) صفة الصفوة 1/496.
2 (?) ديوان يوسف القرضاوي 32
3 (?) جامع العلوم والحكم 466.

زاد المسلم في رحلته من الـدنيا إلى الـدار الآخرة وأول ما يسأل عنه في قبره.

قـــال **ســـفيان الثـــوري**: لو رأيت **منصور بن المعتمر** يصـلي لقلت يمـوت الساعة[1].

وما ذاك إلا من شـــدة المحافظة عليها وتأديتها على أكمل وجه، ومن كان هذا دأبه في كل صلواته فلا بد أن تكـون له صـلاة لا يصـلي بعـدها أبـدًا ويختم له إن شـاء الله بخير كما ذكر ذلك **عبد الله ابن مسعود**: مادمت في صلاة فـأنت تقـرع بـاب الملـك، ومن يقرع باب الملك يفتح له[2].

فـــإن الله أكـــرم الأكـــرمين وأرحم الـــراحمين لمن أطاعه واسـتجاب لأوامـره واجتنب نواهيه.

قال شبرمة: صحبنا كـرزًا الحـارثي فكنا إذا نزلنا إلى الأرض فإنما هو قائل ببصـــره هكـــذا، ينظر فـــإذا رأى بقعة تعجبه ذهب

---

1 (?) صفة الصفوة 3/114.

2 (?) صفة الصفوة 1/415.

فصلى فيها حتى يرتحل[1].

لأن قلبه معلق بالطاعـــــــــات مغتنم للساعات، وقته كله عبـادة وجـد.. وهل في عمر الإنســـان وقت للهو والعبث وعمـــره سنوات معدودة وأنفاس محسوبة؟

اغتنم ركعتين زلفى إلى
إذا كنت فارغًا
وإذا ما هممت بالنطق
فاجعل مكانه تسبيحا
فاغتنام السكوت أفضل من
خوض وإن كنت

والأيام المحسوبة واللحظات المعدودة استثمروها في الطاعـات واعملـوا فيها بجد وحـــــــــزم رغبة فيما عند الله من النعيم المقيم، فحياتهم كلها عبادة وطاعة، وصلاح وتقـــوى وقد قيل لعـــامر بن عبد الله هل تحدثك نفسك في الصلاة بشيء؟

قـال: نعم بوقـوفي بين يـدي الله -عز وجل- ومنصرفي إلى إحدى الدارين[2].

---

1 (?) صفة الصفوة 3/120.
2 (?) الإحياء 1/202.

وانظر إلى حالنا اليوم بم تحدثنا أنفسـنا في الصلاة؟

بل إن الخـــواطر والهــواجس تتـــدافع لكثرتها في الصــلاة، فلربما اســتمرت تلك الأفكار طوال الصلاة، وكأن الصـلاة متنفس لإطلاق عنــان الأفكــار والهــواجس، فــالبيع يزيد في الصـلاة والشـراء كـذلك، وحسـاب الأربـاح والخسـائر يعـاود مع كل صـلاة.. بل إن البعض يسافر ويعود وهو يقف أمام الله -جل وعلا- ولو كان هـذا الوقـوف بين يـدي مســئول لوجــدت قــوة التركــيز وشــدة الإنصــــــات، فلا تفوته كلمة ولا تغيب عنه شــاردة ولا واردة أما في الصــلاة فلا يوجد من يؤديها على وجهها الصــــحيح بــــدون وســاوس وخــواطر إلا من رحم ربي وقليل ما هم.

أخي: إذا أصـــــبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحــــده تحمل الله ســــبحانه حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمه، وفرغ قلبه لمحبتـــه، ولســـانه لـــذكره، وجوارحه

لطاعتـه، وإن أصـبح وأمسى والـدنيا همـه، حمله الله همومها وغمومهـــا، وأنكادهـــا، ووكله إلى نفســه، فشــغل قلبه عن محبته بمحبة الخلـق، ولسـانه عن ذكـره بـذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخـــدمتهم وأشــغالهم فهو يكدح كدح الوحش في خدمة غيره[1].

قـــال أبو عبد الـــرحمن الأيـــدي: قلت لسعيد بن عبد العزيز: ما هـذا البكـاء الـذي يعرض لك في الصـلاة؟ فقـال: يا ابن أخي، وما ســؤالك عن ذلـــك؟ قلت: لعل الله أن ينفعـني بـه، فقـال: ما قمت إلى صـلاة إلا مثلت لي جهنم[2].

ولهـــذا كـــان عاصم بن أبي النجـــود إذا صـلى ينتصب كأنه عـود، وكـان يكـون يـوم الجمعة في المســجد إلى العصـــر، وكـــان عابدًا خيرًا يصلي أبدًا، ربما أتى حاجة، فـإذا رأى المسـجد قـال: مل بنـا، فـإن حاجتنا لا تفوت، ثم يدخل فيصلي.

---

1 (?) الفوائد 110.
2 (?) السير 5/259.

ومات -رحمه الله- ونحن رحمنا الله لا نزال

نروح ونغدو لحاجاتنا

وحاجة من عاش لا

تموت مع المرء حاجاته

وتبقى له حاجة ما

حـــتى يدركه المـــوت ويأتيه الأجل وهو يلهث وراء الدنيا ويجري خلف الحطـام منها ولا يبقى له إلا ما قدم من العمل الصالح.

قـــال القاسم بن محمـــد: غـــدوت يومًا وكنت إذا غـــدوت بـــدأت بعائشة -رضي الله عنها- أسـلم عليهـا، فغـدوت يومًا إليها فـإذا هي تصلي الضـحى وهي تقـرأ: **﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّـمُومِ﴾** [الطـور: 27]، وتبكي وتدعو وتردد الآية فقمت حتى مللت وهي كما هي، فلما رأيت ذلك ذهبت إلى الســوق فقلت: أفــرغ من حــاجتي ثم أرجع ففــرغت من حــاجتي ثم رجعت وهي كما هي تردد الآية وتبكي وتدعو[1].

سنة الضحى:

---

1 (?) الإحياء 4/436.

وسـنة الضـحى هـذه غفل عنها أكـثر الناس اليوم.. فلا يؤديها إلا القليل, والنبي ﷺ أوصى أبا هريـــــرة كما في الحــــــديث: «**أوصـــــاني خليلي رســــول الله ﷺ، بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعـتي الضـحى، وأن أوتر قبل أن أنام**»[1].

واليوم نرى حتى من يحافظ على صلاة الفجر لا يذكر الله إلا قليلاً في هـذا الـوقت الطويل من صلاة الفجر إلى صـلاة الظهـر، وهي ساعات طويلة ولحظـات غالية نفيسة ربما كـانت فيها الغفلة عن الآخـرة بـذكر الدنيا والتشاغل بها.

يؤمل دنيا لتبقى له
فوافى المنية دون
الفسيل[2]
الرجل[3]

خشوع السلف:

1 (?) متفق عليه.
2 (?) الفسيل: النخلة الصغيرة.
3 (?) تاريخ بغداد 12/318.

حب الصـــلاة والمســـارعة إليها وأداؤها على أكمل الوجـــوه وأتمها ظـــاهرًا وباطنًـــا، هي الآية على قـــــدر ما في القلب من حب الله والشـــــوق إلى لقائه والإعـــــراض عنها والتكاسل والتبـــــــــــــاطؤ عن تلبية داعيها والتكاسل في القيام إليها أو أداؤها منفـــردة في غير المسجد مع جماعة المســـلمين من غير عذر، آية فـــراغ القلب حقًا من حب الله والزهد فيما عنده[1].

ولـــــنر حـــــال الســـــلف في الصـــــلاة وخشوعهم.

فعن **ميمون بن حيان** قـــال: ما رأيت **مســـلم بن يســـار** متلفتًا في صـــلاته قط خفيفة ولا طويلـــــة، ولقد انهـــــدمت ناحية المسجد ففـــزع أهل الســـوق لهدته وإنه في المسجد في صلاته فما التفت[2].

وعنـــدما ســـئل **خلف بن أيـــوب**: ألا تؤذيك الذبابة في صـــلاتك فتطردها قـــال: لا

1 (?) صلاة الجماعة.

2 (?) الزهد للإمام أحمد 359.

أعـود نفسي شـيئًا يفسد علي صـلاتي قيل له: وكيف تصبر على ذلك؟ قـال: بلغـني أن الفسـاق يصـبرون تحت أسـواط السـلطان فيقـال: فلان صـبور ويفتخـرون بـذلك، فأنا قائم بين يدي ربي أفأتحرك لذبابة!![1].

وكان **ابن الزبـير** إذا قـام في الصـلاة كأنه عود من الخشوع.

وكـان **أبو حنيفة** يسـمى الوتد لكـثرة صلاته[2].

وعن مــداومتهم على العبــادة وكــثرة صلاتهم ما قاله عبيد الله بن سـليمان حفيد **أبي عبيد الله الــــوزير**: أبلى جـــــدنا سـجادتين[3] وشـرع في ثالثة وأبلى موضع ركبتيه ووجهه ويديه من كثرة صـلاته -رحمه الله- وكـان له كل يـوم كر[4] دقيق يتصـدق به فلما وقع الغلاء، تصدق بكرين.

---

1 (?) الإحياء 1/179.
2 (?) السير 6/400.
3 (?) أعرف عابدًا تـوفي قبل سـنوات جـرى له قريبًا من ذلك.
4 (?) الكر: يشبع خمسة آلاف إنسان.

ولم يكن يشـغلهم عن الصـلاة شـاغل، ولم يكن بينهم وبين الله حائـــل، فالانتبـــاه مقتصر على الصلاة والخشوع لله.

فقد صلى **أبو عبد الله النباحي** يومًا بأهل طرسوس، فصيح بـالنفير، فلم يخفف لصـلاة فلما فرغـوا قـالوا: أنت جاسـوس، قـال: ولم؟ قـالوا: صـيح بـالنفير وأنت في الصلاة فلم تخفف، قال: ما حسبت أن أحدًا يكـون في الصـلاة فيقع في سـمعه غـير ما يخاطبه به الله -عز وجل-[1].

وهم كما قـــال عنهم العلامة ابن رجب في كتابه لطائف المعارف: لما سمع القـوم قول الله عز وجل **﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾**، وقولـــه: **﴿وَسَـــارِعُوا إِلَى مَغْفِـرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُـــــهَا السَّـــــمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾** فهمـــوا أن المـــراد من ذلك أن يجتهد كل واحد منهم أن يكـون هو السـابق لغـيره إلى هـذه الكرامـة، والمسـارع إلى بلوغ هذه الدرجة العالية، فكـان أحـدهم إذا

1 (?) صفة الصفوة 4/279.

رأى من يعمل عملاً يعجز عنه خشي أن يكـون صـاحب ذلك العمل هو السـابق له فيحزن لفـوات سـبقه، فكـان تنافسـهم في درجات الآخرة واستباقهم إليها، ثم جـاء من بعدهم قوم فعكسـوا الأمر فصـار تنافسـهم في الدنيا الدنيئة وحظوظها الفانية.

هذا **أبو طلحة** -رضي الله عنه-: صـلى في حائط وفيه شجر فأعجبه دبس طار في الشجر يلتمس مخرجًا، فأتبعه بصره سـاعة ثم لم يدر كم صلى؟

فـذكر لرسـول الله ، ما أصـابه من الفتنـة، ثم قـال: يا رسـول الله هو صـدقة فضعه حيث شئت[1].

وصـلى رجل في حائط له والنخل مطوقه بثمرها فنظر إليها فأعجبته ولم يدر كم صـلى؟ فـذكر ذلك لعثمـان -رضي الله عنـه- وقـال: هو صـدقة فاجعله في سـبيل الله -عز وجـل- فباعه عثمـان بخمسـين ألفًا[2].

---

1 (?) الإحياء 1/194.
2 (?) الإحياء 1/194.

وما قـدما هـذا العمل إلا لعلمهما بعظم أمر الصلاة وشأنها.

ونحن يا أخي سـنودع هـذه الـدنيا بين صـلاتين، صـلاة أديناها وصـلاة ننتظر دخـول وقتها، فحري بنا أن نـؤدي صـلاة مـودع في كل صـــلاة عسى الله أن يختم لنا بخـــير، ويتقبل منا حسـناتنا ويتجـاوز -بمنه وكرمـه- عن سيئاتنا.

* كـان **محمد بن إسماعيل** «الإمـام البخاري» يصلي ذات ليلة، فلسـعه الزنبـور سبع عشرة مرة، فلما قضى الصـلاة، قـال: انظروا أيش آذاني[1].

وهـذا الصـبر نـاتج من عظم خشـوعهم واستحضــارهم مناجــاة ربهم كما قــال أبو نصر الفـــــرادس عن **ســــعيد بن عبد العزيــــز:** كنت أســـمع وقع دموعه على الحصير في الصلاة[2].

ونحن لقســـوة في قلوبنا لا نـــرى تلك الدموع إلا في شهر رمضـان ومن قلة قليلة

---

1 (?) السير 12/441.
2 (?) تذكرة الحفاظ 1/219.

لانت قلـــوبهم وخشـــعوا لـــربهم وأذلـــوا جباههم له.

ولم يمنع الصالحين كـبر السن وضـعف الجسم عن الوقـوف الطويل بين يـدي الله فهذا **أبو إسحاق السبيعي** يقــول: ذهبت الصــلاة مــني، ضــعفت ورق عظمي، إني اليوم أقوم في الصـلاة فما أقـرأ إلا البقـرة وآل عمران[1].

أما عندما ضعف عن القيـام بنفسه فإنه كما **قال أبو العلاء العبـدي**: ضـعف **أبو إسـحاق السـبيعي** عن القيـام فكـان لا يقدر أن يقوم إلى الصلاة حـتى يقـام، فـإذا أقــاموه فاســتتم قائمًا قــرأ ألف آية وهو قائم[2].

أما **عطاء بن أبي رباح** فهو كما قـال عنه ابن جريج: لزمت عطاء ثمـاني عشـرة سـنة، وكـان بعـدما كـبر وضـعف يقـوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية في البقرة وهو قائم

1 (?) صفة الصفوة 3/104.
2 (?) صفة الصفوة 3/105.

لا يزول منه شيء ولا يتحرك[3].

اجتمعت فيه ثلاثة أمور: كبر سن، وضعف، وقراءة طويلة ثم هو خاشع لا يزول منه شيء ولا يتحرك.

لنرى حال **عبد الله بن الزبير** -رضي الله عنه- وهو المعروف بطول صلاته قال عنه مسلم بن بناق المكي: ركع ابن الزبير ركعة، فقرأت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وما رفع رأسه[1].

ويؤكد لنا نشاطهم في العبادة ما قاله الوليد بن علي.

كان سويد بن غفلة يؤمّنا في شهر رمضان في القيام وقد أتى عليه عشرون ومائة سنة.

وكان معروف (ابن وصل التيمي) إمام مسجد بني عمرو بن سعد، وكان يختم القرآن في كل ثلاثة سفرًا وحضرًا، أم قومه ستين سنة لم يسه في صلاة قط،

---

3 (?) السير 5/87، وصفة الصفوة 2/213.

1 (?) البداية والنهاية 8/359 وصفة الصفوة: 1/767.

لأنها تهمه.

وكــان **طلق بن حــبيب** يقــول: إني لأحب أن أقــوم لله حــتى أشــتكي ظهــري، فيقــوم فيبتــدئ بــالقرآن حــتى يبلغ ســورة الحجر ثم يركع.

وقال ثابت البناني: كنت أمر **بعبد الله بن الزبــير** وهو يصــلي خلف المقــام كأنه خشبة منصوبة لا يتحرك[1].

وإلى الله المشتكى، أسرع شيء يـؤدى في حياتنا الصلاة فمنا من ينقرها نقـرًا ومنا من لا يخشع الخشوع الـواجب، ويغلب على الكثرة تأدية الصلاة بلا اهتمام ولا حرص.

ولو تأملنا في مصــــالح حيــــاة هــــذا المصــلي، لرأينا الدقة والحــرص والتــأني والتمهل والأخذ والعطــــــاء في ســــــبيل دريهمات تزيد له.

ما بالنا هكــذا عن الصــلاة معرضــون ولواجباتنا مضيعون؟

لقد كان **عبد الله بن مسعود** إذا قام

1 (?) البداية والنهاية 8/358.

في الصلاة كأنه ثوب ملقى[1].

وكـان **سـعيد بن جبـير** إذا قـام إلى الصلاة كأنه وتد[2].

أخي الحبيب **أين نحن من هؤلاء؟**

هـذا **عبد الله بن الزبـير** يركع فيكـاد الـرخم أن يقع على ظهـره، ويسـجد فكأنه ثوب مطروح[3].

إننا نسـتغرب من ذلك الخشـوع وتلك الطمأنينة وما ذاك إلا لأننا لا نـرى هـذا في واقع حياتنا وإلا فإن..

العنبس بن عقبة كـان يسـجد حـتى تقع العصـافير على ظهـره، فكأنه جـذم حائط[4].

ونسير مع الصالحين فهـذا **أبو بكر بن عياش** يقول: رأيت **حبيب بن أبي ثابت** ساجدًا فلو رأيته قلت ميت، يعني من طول

---

1 (?) الزهد للإمام أحمد 231.
2 (?) صفة الصفوة 3/77.
3 (?) البداية والنهاية 8/359.
4 (?) الزهد 496.

السجود[1].

وكان **إبراهيم الـتيمي** إذا سـجد كأنه جذم حائط ينزل على ظهره العصافير[2].

أما ابن وهب فقد قـال: رأيت **الثـوري** في الحــرم بعد المغــرب صــلى ثم سـجد سجدة، فلم يرفع حتى نودي بالعشاء[3].

رفع لهم علم الجنة فشــــمروا إليـــه، ووضح لهم صـراطها المسـتقيم فاسـتقاموا عليــه، ورأوا من أعظم الغبن بيع ما لا عين رأت ولا أذن ســـمعت ولا خطر على قلب بشر، في أبد لا يزول ولا ينفد بصـبابة عيش إنما هو كأضـــغاث أحلام، أو كطيف زار في المنام مشوب بـالنغص، ممـزوج بالغصـص، إن أضـحك قليلاً أبكى كثـيرًا، وإن سر يومًا أحــزن شـــهورًا، آلامه تزيد على لذاتـــه، وأحزانه أضـعاف أضـعاف مســراته، أوله مخاوف وآخره متالف.

قـــال أبو قطن: ما رأيت **شـــعبة بن الحجــاج** قد ركع إلا ظننت أنه نســي، ولا

1 (?) السير 5/291.
2 (?) السير 5/61.
3 (?) السير 7/266.

سجد إلا قلت نسي[1].

وقـال علي بن الفضـيل: رأيت الثـوري ساجدًا فطفت سبعة أسابيع[2] قبل أن يرفع رأسه[3].

أخي الحـــــــــــبيب.. **أين نحن من هؤلاء**؟!!

موت التقي حياة لا انقطاع لهـا

قد مــات قـــوم وهم في الناس أحياء[4]

ورغم تلك العناية بالصـــلاة وشــــدة المحافظة عليها فـــإن **عثمـــان بن أبي دهــرش**، قــال: ما صــليت صــلاة قط إلا استغفرت الله تعالى من تقصيري فيها.

ولنر ماذا يقولـون عن صـلاتهم.. ورسم حالهم؟ فقد قال **معاوية بن مرة**: أدركت

---

1 (?) تذكرة الحفاظ 1/193.

2 (?) الأسبوع هنا الطواف الكامل حول الكعبة مرة واحدة.

3 (?) السير 7/277.

4 (?) تاريخ بغداد 13/207.

سـبعين رجلاً من أصـحاب محمد ولو خرجوا فيكم اليوم ما عرفوا شـيئًا مما أنتم عليه اليوم إلا الأذان[1].

أما **ميمون بن مهران** فقد قـال: لو نشر فيكم رجل من السـلف ما عـرف إلا قبلتكم، هذا في القـرون الأولى -فمـاذا عنا نحن-.

أخي الكريم:

زماننا لاح للعاقل تغـيره ولاح للـبيب تبدله، يبس ضرعه بعد الغزارة، وذبل فرعه بعد النضـارة، ونحل عـوده بعد الرطوبـة، وبشع مذاقه بعد العذوبة.

لـنرى صـورة أخـرى معـبرة عن أدائهم للصلاة فعندما سئل حاتم الأصم -رضي الله عنـه- عن صـلاته فقـال: إذا حـانت الصـلاة أسـبغت الوضـوء وأتيت الموضع الـذي أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي، ثم أقـوم إلى صـلاتي، وأجعل الكعبة بين حـاجبي والجنة عن يميـني، والنـار عن

[1] (?) حلية الأولياء 2/299.

شـــمالي، وملك المـــوت ورائي، أظنها آخر صلاتي ثم أقوم بين الرجاء والخوف، وأكـبر تكبـيرًا بتحقيق وأقـرأ قـراءة بترتيـل، وأركع ركوعًا بتواضـــع، وأســـجد ســـجودًا بتخشع وأقعد على الـــورك الأيسر وأفـــرش ظهر قـدمها وأنصب القـدم اليمـنى على الإبهـام وأتبعها الإخلاص ثم لا أدري أقبلت مـــني أم لا[1]؟

والنـاس في الصـلاة على مـراتب خمسة:

إحـــــداها: مرتبة الظـــــالم لنفسه المفرط،الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثانية: من يحافظ على مواقيتها وحـدودها وأركانها الظـاهرة ووضـوئها لكن قد ضـــيع مجاهـــدة نفسه في الوسوسة فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثالثة: من حافظ على حـــــــدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوســـاوس

1 (?) الإحياء 1/179.

والأفكـار فهو مشـغول بمجاهـدة عـدوه لئلا يسرق صلاته فهو في صلاة وجهاد.

الرابعة: من إذا قام إلى الصـلاة أكمل حقوقها وأركانها واســتغرق قلبه مراعـــاة حـدودها وحقوقها لئلا يضـيع شـيئًا منهـا، بل همه كله مصــــروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، وقد اسـتغرق قلبه شـأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامسة: من إذا قـام إلى الصـلاة قـام إليها كـــذلك ولكن مع هـــذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه -عز وجل- ناظرًا بقلبه إليه مراقبًا لـــه، ممتلئًا من محبته وعظمته كأنه يــراه ويشــاهده، وقد اضــمحلت تلك الوساوس والخطرات وارتفعت حجبتها بينه وبين ربه فهـذا بينه وبين غـيره في الصـلاة أفضل وأعظم مما بين الســـــماء والأرض، وهـذا في صـلاته مشـغول بربه -عز وجـل- قرير العين به.

فالقسم الأول: معاقب.

والثاني: محاسب.

والثالث: مكفر عنه.

والرابع: مثاب

والخامس: مقرب من ربه لأن له نصـيبًا ممن جعلت قرة عينه في الصلاة[1].

فمن قرت علينه بصلاته في الدنيا قرت عينه بقربه من ربه -عز وجـل- في الآخـرة، وقرت عينه أيضًا في الدنيا، ومن قرت عينه بالله قـــرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله -تعـــالى- تقطعت نفسه على الـــدنيا حسرات[2].

قال بعض السلف: ابن آدم، أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن بدأت بنصـيبك من الـدنيا أضعت نصيبك من الآخرة، وكنت من نصيب الـدنيا على خطـر، وإن بـدأت بنصـيبك من الآخـرة فـزت بنصـيبك من الـدنيا فانتظمته

1 (?) وهو رسـول الله ففي الحـديث: «حبب إلي من دنياكم الطيب، والنسـاء وجعلت قـرة عيـني في الصـلاة» أخرجه النسـائي. وأحمد وصححه الألباني.

2 (?) فضائل الذكر لابن الجوزي 27.

انتظامًا[1].

وصدأ القلوب يا أخي الكـريم -بـأمرين- بالغفلة والذنب.

وجلاؤها بشـيئين: بالاسـتغفار والـذكر فمن كانت الغفلة أغلب وقتـه، كـان الصـدأ متراكبًا على قلبه وصـدؤه بحسب غفلتـه، وإذا صـدأ القلب لم تنطبع فيه صـور المعلومات على ما هي عليه، فيرى الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم، فلم تظهر فيه صـورة الحقـائق، كما هي عليـه، فـإذا تراكم عليه الصدأ واسود وركبه الران، فسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقًا ولا ينكر باطلاً وهذا أعظم عقوبـات القلب، وأصل ذلك من الغفلة وابتـاع الهـوى فإنهما يطمسـان نـور القلب ويعميان بصره[2].

وكيف يلذ العيش من هو

بأن إله الخلق لا بد

فيأخذ من ظلمه لعباده

---

1 (?) فضائل الذكر لابن الجوزي 19.

2 (?) فضائل الذكر لابن الجوزي 46.

هو فاعله[1]

قال **طلق بن حبيب**: إن حقـوق الله أعظم من أن يقـوم بها العبد ولكن أصـبحوا تائبين وأمسوا تائبين[2].

أخي الحـــبيب.. قـــال ﷺ، عند موته يوصي أمتــه: «الصـلاة الصـلاة، وما ملكت أيمانكم»[3].

فلا يفقـــدك الله حيث أمـــرك ويجدك حيث نهاك.

1 (?) شرح الصدور 295.
2 (?) الإحياء 4/16.
3 (?) رواه أحمد وابن ماجه وصححه الألباني.

حكم تارك الصلاة

أخي الحبيب:

بعد أن عشـنا بين تلك السـطور الـتي يفيض الإيمـان بين جوانحها ويزدهر الخـير في جذورها.

فلا نـرى إلا مصـليًا قائمًا ولا نلمح إلا ملبيًا النـداء مسـرعًا.. حـري بنا أن نعـرف حكم تـارك الصـلاة لعظم الأمر وخطورته ونهب مسرعين إلى أقاربنا وجيراننا وأحبابنا لإنقـاذهم من النـار.. قـراءة متأنية لتلك الأحكـام تجعلك تسـارع داعيًا من تعـرف تهاونه بالصـلاة لعل الله أن يفتح على قلبه وينير طريقه.

سـئل الشـيخ محمد بن عـثيمين السؤال التالي:

* مـاذا يفعل الرجل إذا أمر أهله بالصلاة ولكنهم لم يستمعوا إليه هل يسكن معهم ويخالطهم أم يخرج من البيت؟

فأجاب حفظه الله:

إذا كـان هـؤلاء الأهل لا يصـلون أبـدًا فإنهم كفار، مرتدون، خارجون عن الإسـلام

ولا يجـوز أن يسـكن معهم ولكن يجب عليه أن يـدعوهم ويلح ويكـرر لعل الله يهـديهم لأن تارك الصلاة كافر -والعياذ بالله- بـدليل الكتـاب والسـنة، وقـول الصـحابة والنظر الصحيح.

أما من القـرآن فقوله تعـالى عن المشركين: **﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾** مفهوم الآية أنهم إذا لم يفعلوا ذلك فليسوا إخوانًا لنـا، ولا تنتفي الأخـوة الدينية بالمعاصـي، وإن عظمت ولكن تنتفي عند الخروج عن الإسلام.

أما من السـنة فقـول النـبي ﷺ «**بين الرجل وبين الكفر والشـرك تـرك الصـلاة**» ثـابت في صـحيح مسـلم، وقوله في حـديث بريـدة -رضي الله عنـه- في السـنن: «**والعهد الـذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**».

أما أقوال الصحابة: قال أمير المؤمـنين عمر -رضي الله عنه-: «لا حظ في الإسـلام لمن تـرك الصـلاة» والحـظ: النصـيب، وهو

هنا نكــرة في ســياق النفي فيكــون عامًا لا نصـيب لا قليل ولا كثـير، وقـال عبد الله بن شقيق: «كان أصحاب النبي ﷺ لا يرون شـيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة».

أما من جهة النظر الصحيح فيقــال: هل يعقل أن رجلاً في قلبه حبة خــــــــردل من إيمان يعـرف عظمة الصـلاة وعناية الله بها ثم يحافظ على تركهـا؟ هـذا شـيء لا يمكن وقد تأملت الأدلة التي استدل بها من يقول أنه لا يكفر فوجــدتها لا تخــرج عن أحــوال أربع:

1- إما أنها لا دليل فيها أصلاً.

2- أو أنها قيـدت بوصف يمتنع مع تـرك الصلاة.

3- أو أنها قيــدت بحــال يعــذر فيها من ترك هذه الصلاة.

4- أو أنها عامة فتخصص بأحــاديث كفر تارك الصلاة.

وإذا تـبين أن تـارك الصـلاة كـافر **فإنه يــترتب عليه أحكــام المرتــدين**، وليس في النصوص أن تارك الصـلاة مـؤمن أو أنه

يدخل الجنة أو ينجو من النار ونحو ذلك مما يحوجنا إلى تأويل الكفر الـذي حكم به على تارك الصلاة بأنه كفر نعمة أو كفر دون كفر - ومنها:

أولاً: أنه لا يصح أن يـزوج فـإن عقد له وهو لا يصـــلي فالنكـــاح باطل ولا تحل له الزوجة به لقوله تعــالى عن المهــاجرات: ﴿ **فَـــإِنْ عَلِمْتُمُـــوهُنَّ مُؤْمِنَـــاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ** ﴾ سورة الممتحنة.

ثانيًا: أنه إذا تــرك الصــلاة بعد أن عقد له فــإن نكاحه ينفسخ ولا تحل له الزوجــة، للآية الـــتي ذكرناها ســـابقًا، على حسب التفصــيل المعــروف عند أهل العلم بين أن يكون ذلك قبل الدخول أبو بعده.

ثالثًا: أن هذا الرجل الـذي لا يصـلي إذا ذبح لا تؤكل ذبيحته لمـاذا؟ لأنها حــرام، ولو ذبح يهـودي أو نصـراني فذبيحته يحل لنا أن نأكلها فيكون -والعياذ بالله- ذبحه أخبث من ذبح اليهود والنصارى.

رابعًا: أنه لا يحل له أن يـــدخل مكة أو حـدود حرمها لقوله تعـالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـــوا إِنَّمَا الْمُشْـــرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾**.

خامسًا: أنه لو مات أحد من أقاربه فلا حق له في المـــيراث، فلو مـــات رجل عن ابن له لا يصلي -الرجل مسلم يصلي والابن لا يصـــلي- وعن ابن عم له بعيد -عاصـــب- من الـــذي يرثـــه؟ ابن عمه البعيد دون ابنه لقول النبي ﷺ، في حديث أسامة: «**لا يـرث المسلم الكافر ولا الكـافر المسـلم**» [متفق عليـــــه]، ولقوله ﷺ: «**الحقـــــوا الفـــــرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر**» [متفق عليـــه]، وهـــذا مثـــال ينطبق على جميع الورثة.

سادسًـــا: أنه إذا مـــات لا يغسل ولا يكفن ولا يصـــــلى عليه ولا يـــــدفن مع المسلمين، إذا ماذا نصنع به؟ نخرج به إلى الصـــــحراء ونحفر له وندفنه بثيابه لأنه لا حرمة له وعلى هـــذا فلا يحل لأحد مـــات

عنده ميت وهو يعلم أنه لا يصلي أن يقدمه للمسلمين يصلون عليه.

سابعًا: أنه يحشر يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف وأئمة الكفر -والعياذ بالله- ولا يدخل الجنة ولا يحل لأحد من أهله أن يدعوا له بالرحمة والمغفرة، لأنه كافر لا يستحقها لقوله تعالى: **﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾**.

فالمسألة يا إخواني خطيرة جدًا، ومع الأسف فإن بعض الناس يتهاونون في الأمر ويقرون في البيت من لا يصلي وهذا لا يجوز.

هذا حكم من ترك الصلاة رجلاً أو امرأة يا من تركت الصلاة، أو تساهلت بها تدارك بقية العمر بالعمل الصالح فلا تدري كم بقي من عمرك هل بقي شهور أو أيام أو ساعات العلم إلى الله وتذكر دائمًا قوله تعالى: **﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ**

جَهَنَّمَ لَا يَمُـوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا [طــه: 74]، وقولــه: **فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآَثَـرَ الْحَيَـاةَ الـدُّنْيَا * فَـإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى** [سورة النازعات].

وفقك الله لكل خـير وفلاح وجعل الله أيامك سـعادة وهنـاء في ظل شـريعة الله علمًا وعملاً ودعوة.

والله أعلم وصـلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر

1- إحيــــاء علــــوم الـــدين لأبي حامد الغزالي -دار الكتب العلمية ط1، 1406 هـ.
2- البداية ولانهاية للحافظ ابن كثـــــير، مطبعة المتوسط.
3- تـاريخ بغـداد لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العليمة
4- تـــاريخ عمر لابن الجـــوزي، تحقيق أحمد حوشان، مكتبة المؤيد.
5- التبصـــرة لابن الجـــوزي، دار الكتب العلمية ط 1، 1406هـ.
6- تـذكرة الحفـاظ للإمـام الـذهبي، دار إحياء التراث العربي.
7- جـــامع العلـــوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ط5، 1400هـ.
8- حلية الأوليـــاء وطبقـــات الأصـــفياء، للحافظ أبي نعيم، دار الكتاب العربي.
9- ديـوان يوسف القرضـاوي «نفحـات ولفحـات» دار الضـياء لنشـر، ط1، 1405 هـ.
11- رهبــان الليــل، ســيد بن الحيسن

العفاني، مكتبة ابن تيمية، ط1، 1410هـ.
12- سير أعلام النبلاء، الـذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وحسـين الأسـد، مؤسسة الرسالة 1401هـ.
13- شـذرات الـذهب في أخبـار من ذهب لابن العماد الحنبلي، دار إحياء الـتراث العربي.
14- شرح الصدور بشرح حـال المـوتى والقبور، للحافظ جلال الدين السـيوطي دار الكتب العلمية ط1، 1404هـ.
15- صفة الصفوة لابن الجوزي، تحقيق محمـود فـاخوري، ومحمد رواس، دار المعرفة 1405هـ.
16- صـلاة الجماعة حكمها وأحكمها د/ صالح السدلان، دار الوطن ط1،1413هـ.
17- طبقات الحنابلة للقاضي أبي يعلى، مطبعة السنة المحمدية.
18- فضـائل الـذكر لابن الجـوزي، دار الجيل ط2، 1405هـ.
19- الفوائد لابن القيم الجوزيـة، دار النفائس.

20- في ظلال القرآن، سـيد قطب، دار الشروق، ط9، 1400هـ.
21- كتـاب الزهد للإمـام أحمـد، دراسة وتحقيق محمد السعيد، دار الكتاب العـربي، ط1، 1406هـ
22- معلومـات مهمة من الـدين، محمد جميل زينو.
23-مكاشـــــفة القلـــــوب لأبي حامد الغزالي، دار إحياء العلوم، ط1، 1403هـ.
24- وفيات الأعيان وأنباء الزمـان، لابن خلكان، دار صادر، بيروت 1397هـ.

الفهرس